معضلة «إسرائيل» في غزة

وسام أبو شمالة
كاتب ومحلل سياسي

تقترب الحرب الصهيونية على غزة من شهرها التاسع، ولا تزال غزة تشكل معضلة إسرائيلية مستعصية على الحل. وبقي شعار بيبي نتنياهو، "النصر المطلق"، شعاراً أجوفَ بات يتناوله الإسرائيليون بنوع من السخرية والتندّر في منصات التواصل الاجتماعي، ليس لأن أهداف نتنياهو وحكومته المعلنة، في العاشر من أكتوبر، لم تتحقق حتى الآن فحسب، بل أيضاً لأن اليأس والعجز من تحقيقها باتا مسيطرَين على قناعات المستوى العسكري والجنرالات الحاليين والسابقين، بالإضافة إلى النخب والمعارضة وقطاع واسع من "المجتمع" الصهيوني أيضاً.

لم يعد يتمسك بشعارات الحرب وأهدافها، الأقرب إلى الخيال منها إلى الواقع، إلا حفنة من اليمين الإسرائيلي الشعبوي، ويتساوق مع هذه الحفنة نتنياهو، ليس عن قناعة، بل من أجل المحافظة على الائتلاف اليميني الحاكم، الأمر الذي دفع نتنياهو إلى نشر تصريحين متناقضين خلال ٢٤ ساعة.

الأول خصّه حصرياً بالقناة الـ"١٤"، المحسوبة على جمهور اليمين، ويؤكد التزامه فقط المرحلة الأولى من مبادرة جو بايدن، وهدنة موقتة، من أجل الإفراج عن عدد من الأسرى، ثم العودة إلى الحرب للقضاء على المقاومة. والثاني تراجع فيه عن تصريحه، وأكد التزامه العلني، للمرّة الأولى، الورقةَ الإسرائيلية التي أعلنها بايدن.

مفهوم النصر الصهيوني المطلق في الحرب يعني النجاح في إخضاع المقاومة، الأمر الذي يقتضي قبولها كل شروط الاستسلام الإسرائيلية، والتي تبدأ بإعلان قيادة المقاومة الاستسلام والهزيمة في الحرب، مروراً بتسليم الأسرى من دون شروط، ونفي قيادة المقاومة إلى الخارج، وليس انتهاءً بنزع سلاح المقاومة وتفكيك خلاياها، وإنشاء إدارة مدنية عميلة للاحتلال، في مقابل وقف الحرب.

وعكست تصريحات قيادة مجلس الحرب الصهيوني، عند إعلان الحرب على غزة، تصميماً واضحاً على تحقيق نصر حاسم ينتهي بالقضاء على المقاومة، مرة واحدة وإلى الأبد، كي لا تشكل غزة أي تهديد على "إسرائيل" في المستقبل.

وتناوب يوآف غالانت، وزير الأمن الصهوني، وبيبي نتنياهو وبيني غانتس، المؤتمرات الصحافية، التي تؤكد أن مصير المقاومة، قيادةً وعناصرَ، عسكريين وسياسيين (ولا فارق بين من يرتدي الزي العسكري وربطات العنق، بحسب غالانت)، هو الموت أو الاستسلام.

لا شك في أن حكومة نتنياهو كانت تُمنّي نفسها بإمكان تحقيق أهداف الحرب، وأن تنجح في إخضاع المقاومة تحت وطأة الضغوط العسكرية والإبادة الجماعية والحصار الاقتصادي وحرب التجويع والتكلفة المرتفعة وغير المسبوقة، بشرياً ومادياً، والرهان على الفوضى الداخلية في الشارع الغزي، وتحريك الجمهور الفلسطيني المنهَك من القتل والدمار والجوع في وجه المقاومة ومؤسساتها المسؤولة عن إدارة شؤون الناس، الأمر الذي يؤدي إلى فتنة داخلية، بيد أن سياسات الإخضاع والفوضى والاقتتال الداخلي فشلت، الأمر الذي اضطر نتنياهو إلى الاعتراف بأن خطط إنشاء أجسام من العائلات الفلسطينية مرتبطة بالجيش الصهيوني فشلت، ويجري البحث عن بدائل أخرى.

إن سياسة الضغط العسكري المكثّف لم تفشل فقط في إخضاع المقاومة، بل فشلت أيضاً في تحقيق مجرد نجاح جزئي في تنازل المقاومة عن شروطها المعلنة، منذ بدء الحرب، وهي إنهاء الحرب، ووقف إطلاق النار، وانسحاب كامل من قطاع غزة، وعقد صفقة تبادل مشرّفة للأسرى، بل ما حدث هو تراجع في المواقف الصهيونية، وتصدع في مجلس الحرب، بعد انسحاب بيني غانتس وغادي آيزنكوت من المجلس، وتعارض في المواقف والرؤى بين المستويين السياسي والعسكري، وتفاقم ظاهرة الانقسام العميق داخل "المجتمع الصهيوني".

وباتت حكومة "إسرائيل" معزولة دولياً، ومنبوذة عالمياً، وملاحقة قانونياً. كما فشلت "إسرائيل" في وقف حرب الاستنزاف في الجبهة الشمالية وجبهات أخرى في العمق (إيران، اليمن، العراق)، وباتت الحرب أقرب إلى التوسع من أي وقت مضى.

عكست تصريحات المتحدث باسم الجيش الصهيوني، دانيال هاغاري، مؤخراً، المعضلة التي تواجهها "إسرائيل" في غزة، والتي تتحول بالتدريج إلى مأزق استراتيجي، فلقد اعترف هاغاري بأن هدف القضاء على المقاومة لا يمكن تحقيقه.

كما عكست أقلام أبرز الكتاب الإسرائيليين نوعاً من الإحباط من تحقيق أهداف الحرب، الأمر الذي دفعهم إلى المطالبة بتحديث أهداف الحرب، لأن "إسرائيل "تغرق في حرب استنزاف في غزة على شاكلة الحرب الأميركية في فيتنام، والحرب الصهيونية على جنوبي لبنان، وأن "إسرائيل " باتت في ورطة كونها لا تستطيع التعامل مع الواقع المفاجئ، والذي نشأ بعد السابع من أكتوبر، كونها لا تمتلك أيّ خطط استراتيجية للتعامل مع غزة.

إن المصطلحات، التي تردّدت على ألسنة القادة العسكريين والسياسيين في "إسرائيل"، لا تمتّ إلى الواقع بصلة. وأيقنت مختلف الأوساط الصهيونية بأن مصطلحات "النصر المطلق" و"تفكيك كتائب المقاومة" و"إلحاق الهزيمة بالمقاومة" هي مجرد أوهام، لأن المواجهة تجري مع مقاومة فلسطينية غير معزولة، بل تتمتع بنفوذ وتأثير كبيرين داخل المجتمع الفلسطيني، كما أنها ذات خلفية أيديولوجية متماسكة.

إن المعضلة الأكبر، التي تواجه "الجيش" الصهيوني في الحرب الجارية على غزة، أنها تحولت إلى النمط الذي تجيده حركات المقاومة، وهو نمط حرب العصابات التي تدور في بيئة مواتية للمقاومة، ووسط تعاطف كبير من حاضنتها الشعبية.

وتقدّر الأوساط الصهيونية أن المقاومة بدأت استعادة بناء قدراتها العسكرية والبشرية، والاستمرار في التعرّف إلى خطط الجيش الصهيوني، الأمر الذي يؤدي إلى نجاحها في تنفيذ عمليات عسكرية ناجحة، وإيقاع الخسائر في صفوف القوات الصهيونية.

إن المأزق الصهيوني في غزة يتمثل بأن نظرية المقاومة تقوم على الصمود والصبر وتحمّل التضحيات والتكلفة العالية والنفَس الطويل والقدرة على امتصاص الخسائر، مهما كانت باهظة الثمن، بينما لا يستطيع "الجيش" الصهيوني، في المقابل، تحقيق نصر كلاسيكي، ولا يتمتع "المجتمع الصهيوني" بالقدرة على تحمل المواجهة المفتوحة وخوض معركة استنزاف طويلة، تؤثر فيه، بشرياً واقتصادياً ونفسياً، واستراتيجياً، الأمر الذي يضع "إسرائيل" بين خيارين، أحلاهما مُرّ.

المأزق الصهيوني في غزة يتمثل بأن نظرية المقاومة تقوم على الصمود والصبر وتحمّل التضحيات، بينما لا يتمتع "المجتمع الصهيوني" بالقدرة على تحمل المواجهة المفتوحة وخوض معركة استنزاف طويلة

التحليل الإخباري

محور المقاومة يتجند خلف لبنان لمواجهة حرب صهيونية محتملة

خليل نصر الله
كاتب ومحلل سياسي

المقاومة في لبنان ليست وحيدة، دول وقوى محور المقاومة تعلن تباعًا اصطفافها خلف حزب الله حال تعرض لبنان لحرب صهيونية محتملة.

لم يكد يعلن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله جاهزية المقاومة لاحتمال تنفيذ الكيان الصهيوني عدوانًا على لبنان، مؤكدًا أن المقاومة ستقاتل بلا سقوف ولا ضوابط ولا قواعد، وموعدًا "الإسرائيليين" برًّا وبحرًا وجوًّا، ومحذرًا قبرص من فتح البلاد للكيان، حتّى بدأت قوى ودول محور المقاومة تعلن تباعًا عن اصطفافها خلف لبنان حال وقوع عدوان عليه، وهو ما يعني أن الحرب على لبنان ستأخذ طابعًا إقليميًّا سيدفع ثمنه "الإسرائيليون" وكذا الأميركيون وكلّ من يوفر الدعم لهم.

ترسم هذه المواقف بوضوحها صورة المشهد في المنطقة حال دعم إدارة بايدن عدوانًا إسرائيليًّا على المقاومة في لبنان، خصوصًا أن تنفيذ وإدارة حرب بشكل مشترك جرى الإعداد له منذ زمن.

من شأن هذه المواقف أن تلقى ردًّا كبيرًا لدى صناع القرار في واشنطن أولًا، وهي تتزامن مع مباحثات "إسرائيلية" - أميركية تجري في واشنطن ويتصدر مشهدها من الجانب الصهيوني وزير الحرب "يوآف غالانت"، وعنوانها بعد غزّة الجبهة الشمالية.

فلا شك أن ما يعلن من قبل أطراف المحور، مرفقًا بما قاله السيد نصر الله، وكذلك ما أفرجت عنه المقاومة من بنك أهداف داخل الكيان، لا يأتي من باب التهويل إنما من باب الإعداد الجاد.

صحيح أن قوى المقاومة لم تكشف عن خططها، لكنّ المؤكد أن كامل المنطقة قد يشتعل، والحديث هنا ليس عن تأثير محدود إنما تأثير قد يطال العالم، خصوصًا إذا ما قرر الأميركيون دعم وإسناد أي عدوان.

لا شك أيضًا، أن الإعلانات هذه ردعية، وهو ما يعد أيضًا ضربة لواشنطن وتل أبيب لاعتبار أنهما فقدتا جزءًا كبيرًا من الردع، وأن وقف الحرب حاليًّا سيعني الخضوع للوقائع القائمة، وهو ما لا يصب في مصلحتهما، فيما الخيار الآخر قد يكون مدمرًا.

إن ردع "تل أبيب" وواشنطن سيصب في مصلحة الشعب الفلسطيني أولًا وقواه، ودفعهما للانكفاء عن المخاطرة والاعتداء على لبنان سيعيد المشهد إلى قطاع غزّة، ويعطي المقاومة الفلسطينية دفعًا كبيرًا في سبيل انتزاع اتفاق يحقق شروطها.

وعليه، إن قوى ودول محور المقاومة ترمي الكرة في ملعب واشنطن و"تل أبيب"، وتضعهما بين خيارين أحلاهما مر، إما وقف الحرب والتكيف مع الوقائع القائمة، أو المغامرة بحرب اتّجاه لبنان، سيطال شعاعها كامل منطقة غرب آسيا وحتّى عمق البحر الأبيض المتوسط، بما في ذلك الممرات الحيوية.

فلاديمير الثالث

موفق محادين
كاتب ومحلل سياسي

منذ صعود بوتين وتسلّمه قيادة الاتحاد الروسي، والسياسات الغربية بقيادة واشنطن تتدحرج نحو أجواء الحرب الباردة، التي اعتقد البعض أنها انتهت مع تفكّك الاتحاد السوفياتي وتسلّل ليبراليّين بنكهة يهودية إلى الكرملين، من غورباتشوف إلى يلتسين.

لم تصدر حتى الآن دراسات معمّقة لا حول أسباب التفكّك وسيطرة الفريق اليهودي ممثّلاً بـ "شوبايس" و"خودروفسكي" وغيرهما، ولا حول أسباب ظهور وصعود بوتين السريع وتحوّله من أحد المدعومين من الفريق غير الشيوعي، إلى واحد من قادة روسيا العظام، أو من الفلاديميرات الثلاثة: فلاديمير الأول المؤسس لروسيا، وفلاديمير لينين قائد ثورة أكتوبر الاشتراكية، وفلاديمير بوتين الذي اختصر هذا التاريخ في السياسة الروسية الحالية، الحضور في المشهد الدولي وتأمين روسيا بطوق أوراسي، قيصري أو شيوعي أو قومي أرثوذكسي.

فقد نجح بوتين في بعث الروح في الأمة الروسية وإعادتها إلى عالم الكبار، بالاتكاء أولاً على سردية أو خطاب من رواسب الأزمنة الروسية القيصرية (القومية والكنسية الأرثوذكسية، ولكن على نحو مغاير لتاريخ القياصرة الذين ربطوا ذلك بالتضييق على القوميات والمذاهب الأخرى)، فذلك ما انتبه له بوتين وقاربه من موقع التعدّد الإثني. والاتكاء ثانياً على حلف عالمي ضدّ الهيمنة الغربية، مطوّراً بذلك مفهوماً جديداً للسياسة التي كانت شديدة الصلة بالاقتصاد بما يذكّر بالعلاقة الميكانيكية بين البنى التحتية والفوقية وهي العلاقة التي حذّر منها لينين.

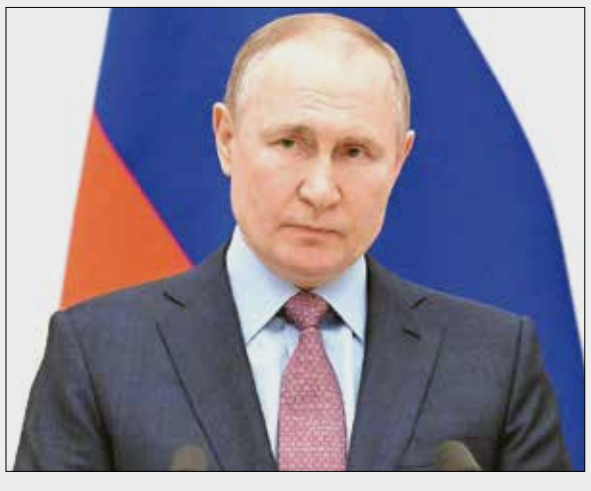

فالسياسة اليوم حقل له مساحاته الواسعة من دون الاستقلال التامّ عن الاقتصاد، مما يسمح برؤية محاور متناقضة في قلب المنظومات الرأسمالية نفسها.

بهذه الروحية أخذ بوتين يؤسّس لاستراتيجية انبعاث جديدة لا تخفي الثوابت الأساسية في التاريخ الروسي وخاصة المياه الدافئة، والمجال الأوراسي، ومن مفارقات ذلك أنه كلما ارتخت القبضة الروسية على التاريخ انطلاقاً من هذه الثوابت، فإنّ الاستفزازات الغربية لموسكو كانت تتكفّل بإنعاش الذاكرة الجمعية الروسية وإحياء هذه الأمّة ودفعها إلى صدارة العالم.

ومن الواضح حتى الآن أنّ الحنين إلى الاشتراكية التي صنعت الاتحاد السوفياتي والجيش الأحمر ودفعته إلى معقل الفوهرر الألماني في برلين، لا يزال حنيناً مرهوناً بالثوابت المذكورة، وهو ما قد يفسّر استعادة السياسات السوفياتية السابقة مفرغة من مضامينها الاشتراكية، ليس بالنسبة لموسكو وحدها بل وللمجالات والساحات والدول المرتبطة بالسياسات المذكورة.

فمن الملاحظ كما سنرى أن الحركة الروسية بقيادة بوتين ركّزت على بلدان اشتراكية أو تحكم فعلاً أو شكلاً من أحزاب اشتراكية إضافة إلى قوى وبلدان أخرى، ومن ذلك:

١- مقابل أزمة الصواريخ الروسية في كوبا خلال فترة خروتشوف، بعيد انتصار الثورة الكوبية وتهديد واشنطن بالتدخّل وإرسال موسكو الصواريخ إلى كوبا على مرمى السواحل الأميركية، أرسل بوتين العديد من السفن الحربية لإجراء مناورات مشتركة مع كوبا التي تقع في قلب الأنواء والأعاصير البحرية الأميركية في الكاريبي.

٢- مقابل انخراط روسيا والصين في الحرب الكورية في خمسينيات القرن الماضي، ردّاً على تدخّل الناتو والتحالف الإمبريالي لإنقاذ عملائهم في كوريا، قام بوتين نفسه بزيارة إلى كوريا الشمالية ووقّع معها اتفاقية دفاع وتعاون عسكري مشترك.

٣- مقابل انخراط روسيا في حرب فيتنام ضد العدوان الأطلسي ــ الأميركي وقبله الفرنسي في ستينيات القرن الماضي، قام بوتين بزيارة إلى فيتنام ووقّع معها أكثر من اتفاقية استراتيجية، وذلك علماً بأنّ علاقات فيتنام مع الصين علاقات متوترة وهي الحليف الأساسي لموسكو منذ سنوات.

٤- مقابل تدخّل موسكو الشيوعية أكثر من مرّة في بلدان مثل هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا خلال النصف الثاني من القرن الماضي، وفي سياق الصراع الروسي – الأميركي المعروف ودعم واشنطن لجماعات الثورة المضادة في تلك البلدان، عادت موسكو في عهد بوتين لتمنح دعمها للقوى المهدّدة بالتدخّل الأطلسي المباشر أو عبر الثورات الملوّنة، وقد تمكّنت دول مثل روسيا البيضاء وكازاخستان من تثبيت الاستقرار فيها بفضل الدعم الروسي بقرار من بوتين.

٥- مقابل السياسة المتردّدة أحياناً والمفرطة أحياناً أخرى، بشأن أراضٍ هنا وهناك خلال الحكم الشيوعي السابق، كان بوتين أكثر حزماً كما فعل مع القرم ودونباس والأراضي التي كانت تحتلّها جورجيا.